التمارين وتعليم اللغة وتعلمها

د. بلقاسم جياب
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملخص:

منذ تطور العلوم، وتقدّم الصناعات أصبح الاهتمام بالنوعية وتحسين المردود في شتى الميادين، ومن بينها قطاع التربية والتعلم، حيث اتجهت الأبحاث التربوية والتعليمية، وبخاصة في مجال اللسانيات الحديثة إلى الاهتمام بنشاط "التمارين"، ومنه اخترت –هذا النشاط– كموضوع بحثي هذا تحت عنوان "التمارين وتعليم اللغة وتعلّمها"، حيث تحدثت في البداية عن إشكالية تباين في مفهوم "التمارين، والاختبار، والتقييم"، وحاولت إعطاء مفهوما واضحا للتمرين، ثمّ بينت مفهومه في تعليمية اللغة، ثم مفهومه في علم النفس، وأشرت بعد ذلك إلى واقع التمرين في تعليم اللغة، وبعد ذلك تطرقت إلى منهجية الإعداد التربوي للتمرين، وأهم المبادئ الضرورية التي يجب على الأستاذ أن يلتزم بها حيث إعداد هذه التمارين.

وفي الأخير يمكن القول: أن التمارين وسيلة ناجعة لمعرفة مدى التقدم الذي أحرزه المتعلم من خلال تحقيق الكفاءات المرسومة، والمراد تحقيقها من العملية التعليمية في مرحلة من مراحل التعليم.

Résumé :

Les exercices dans l'enseignement de la langue et son apprentissage

Depuis le développement de la science et le progrès des industries on s'intéresse à la qualité et à l'amélioration du rendement dans divers domaines et parmi eux le secteur de l'éducation et de l'enseignement où toutes les recherches éducatives et pédagogiques et plus particulièrement le domaine de la linguistique moderne se sont intéressés à l'activité « exercices ». De là, j'ai choisi cette activité comme sujet à mon travail de recherche intitulé « Les exercices dans l'enseignement de la langue et son apprentissage ».

Au départ, j'ai abordé la problématique de la variation du concept « exercices, test et évaluation » en essayant de donner un concept clair de « l'exercice » Ensuite, j'ai démontré son concept dans l'apprentissage des langues et en psychologie en évoquant aussi la réalité de l'exercice dans l'enseignement de la langue.

J'ai également abordé la méthodologie de préparation pédagogique de l'exercice ainsi que les principes nécessaires que le professeur doit respecter lors de la préparation des ces exercices.

Finalement, nous pouvons dire que les exercices sont un moyens efficace de connaître les progrès réalisés par l'apprenant en réalisant les compétences tracées et à réaliser à partir du processus enseignement –apprentissage à une étape du cursus.

توطئة

إن تعليمية اللغة صارت تهتم أكثر من أي وقت مضى بالعملية التعليمية، وبأقطابها الثلاثة "المعلم، المتعلم، المحتوى"، وصار محور العملية الأساسي: المتعلم، ومن بين الأنشطة التي صارت تحتل مكانة هامة في العملية التعليمية التعلّمية نشاط "التمارين"، هذا النشاط الذي يتساءل في شأنه المعلمون والأساتذة، ويطرحون الأسئلة الآتية: لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟، وما الحيز الذي يترك لعملية تقييم هذه التمارين؟، انطلاقا من هذه الإشكالية أردت أن أعالج في بحثي هذا موضوع: التمارين والتعليم اللغة وتعلمها، مركزا على مفهوم التمارين في تعليم اللغة العربية ومنهجية إعداد التمرين التربوي، وأهم المبادئ التي يجب على المعلم أو الأستاذ أن يلتزم بها عند إعداده للتمرين مع تلامذته.

ووضحت في الأخير أن التمارين وسيلة لمعرفة التقدم الذي يحصله المتعلم في مستواه، وبالتالي تحقيق الكفاءات المستهدفة من وراء العملية التعليمية التعلّمية.

التمارين وتعليم اللغة وتعلّمها.

1-1- مفهوم التمرين في تعليمية اللغة:

نشير في بداية هذا البحث إلى أن أغلب المراجع والقواميس في موضوع تعليمية اللغة تكاد تشترك عدّة مفاهيم في مفهوم واحد للتمرين(exercice)، والاختبار (test)، والتقييم (évaluation)، كلها مصطلحات تلتقي في المفهوم الذي يعني بتحديد مدى المعرفة أو المهارة التي حصّلها المتعلم من خلال تعلّمه.

ولكن يمكن لنا القول بأن تلك المفاهيم تتباين فيما بينها تباينا واضحا، وقد جرت العادة في تعليم اللغة في مدارسنا، بأن ينظر إلى كل من مفهومي الاختبار والتقييم على أنهما من قبيل التمرين، حتى عدّا بمفهومه لا يعني غير ذلك، فإذا ما ذكر التمرين، انصرف التفكير إلى معنى المسألة المطروحة لاختبار قدرات المتعلّم على حلّها وتقييمه حول ذلك.

"وفي الواقع فإن المفهوم الحقيقي للتمرين (exercice)يختلف طبعا عن مفهوم الاختبار والتقييم، وتتجه دلالته إلى مفهوم أصل قائم بذاته"[1].

ونظرا لما تقدّم ذكره، فمن الحري الرجوع إلى المراجع المتخصصة حول موضوع تعليمية اللغة وصناعة طرائق تعليمها، حيث تعتمد على مفهومه الطبيعي والصحيح.

1-2- مفهوم التمرين في علم النفس:

يقصد بالتمرين في علم النفس "التمرّن: والتدرب من خلال التكرار والمحاولات المتوالية لاكتساب سلوك جديد على نحو متقن[2]، وهذا المفهوم قد اعتمدته كثير من النظريات التعليمية، لكن دون اتفاق فيما بينها، فبينما عدّته بعضها عاملا رئيسيا، نظرت إليه الأخرى على أنه مجرد مكون من مكونات آليات الاكتساب[3].

كما بيّنت النظريات السلوكية أن "سكينر" يعتبر التمرين عاملا رئيسيا للاكتساب، في حين نجد النظرية المعرفية البنائية ل "جون بياجي" تعتبره من بين مكونات آليات الاكتساب[4]

هذا فضلا عن الإشارة إلى أن دورة التدريب والتمرين تتميّز بفترات من النشاط في أول الأمر، ثم تأتي فترة الاستقرار ففقرة التراجع المفاجئ أو البطء بسبب الإرهاق، إذا كانت فترة التدريب طويلة، مما يدفع إلى توزيع فترات التمرّن والتدريب على أوقات متوازية لا تسبب الإرهاق كما يجب ألا تتباعد فتراتها بحيث تمنع حصول الهدف من التمرين[5].

1-3- مفهوم التمرين في تعليمية اللغة:

نقصد بمفهوم التمرين في تعليمية اللغة كل نشاط من أنشطة اللغة يخضع لمقاييس ومبادئ منهجية، ويندرج في منظومة تعليمية معيّنة بقصد توظيفها بكيفية ناجعة [6].

وما يمكن استنتاجه من العناصر الأساسية التي يمكن أن تتوفر في كل تمرين بمفهومه الطبيعي والصحيح:

أ- التمرين هو تدريب وتمرّن يشارك فيه المتعلم على نحو إيجابي من خلال فرض التمرين الواعية والهادفة.

ب- خضوعه إلى قوانين نفسية مدروسة تجنبا لإرهاق المتعلم، وبالتالي عدم حصول الهدف المراد تحقيقه.

ج- خضوعه إلى معايير منهجية واضحة تتماشى ومستوى المتعلم العقلي والفكري، وتراعي رغباته.

د- يدور التمرين حول ظاهرة لغوية محددة تظهر حاجة التعلم إليها، ويكون التمرين فرصة للترسيخ والتعلم.

وقد ذكر جرارد دينيز (jerard Denis) عام 1982، أن التمرين باعتباره تقنية خاصة بالاكتساب يتعدى الجانب النظري المتمثل في التنويع الشكلي، إلى كونه عاملا مكوّنا رئيسيا في كل طرائق اللغوية على اختلاف مشاربها اللسانية والمنهجية[7]

ونجد أن "حاج صالح عبد الرحمان" يعتبر التمرين وسيلة مهمة من وسائل التدريس والتعليم، ووسائل التبصير والتوضيح كذلك، نظرا لما يلعبه من دور هام في العمل الترسيخي لاكتساب الملكة اللغوية (أو التبليغية) من جهة، وفي عملية التبليغ والإيصال للمعلومات المقصودة من جهة أخرى [8]

وقد يكون من الضروري في هذا الشأن، الإشارة إلى مفهوم الاختبار (test) إنما يعني كما جاء في معجم تعليمية اللغات : كل وسيلة للقياس تتمثل في اختبار واحد أو عدة اختبارات ترمي إلى تحقيق غرض محدد، كما أنها تقترن بعملية التنقيط (notation)، وفق مقاييس محددة وحسب عملية إحصاء دقيقة[9]

كما أن هناك عدة أنواع من الاختبارات التي تتم تناول بعض منها: اختبار تحديد الكفاءة (tests d'aptitude)، واختبارات ضبط المستوى (tests de niveau)، واختبارات مراقبة المستوى(tests de contrôle) ، واختبارات مدى التقدم في المستوى (tests de progrès)10.

في حين يقصد بمفهوم التقييم (évaluation) معنى واسع يشمل كل أنواع القياس والاختبارات التي من شأنها معرفة مستوى المتعلم، في مستوى معين لمعرفة مردود طريقة تدريسية[11].

2-3- واقع التمارين في تعليم اللغة:

إن تعليم اللغة العربية في مدارسنا ليس هو من قبيل تعليم القراءة والكتابة تماما، مثلما حصل ذلك في صدر الإسلام لأبناء المجتمع العربي الإسلامي، أو تعليم الأساليب الفنية التحريرية والشفاهية، ولكن تعليم العربية هو في حقيقته تعليم للكلام بها في الأصل تماما مثلما نتعلم أية لغة أجنبية [12].

ولكن الطريقة المطبقة في مدارسنا اليوم توصف بالسلبية، إذ يقف المتعلم كمتلقي سلبي، ومستقبل في معظم الأحيان، لما يقوله المعلم ويصدره من المعلومات والتوجيهات التي تكون غالبا مجرد معطيات نظرية شفوية نتعم فيها وسائل الإيضاح المحسوسة كالأدوات والأجهزة ومعظم الوسائل التربوية، حيث يلعب المعلم الدور الرئيسي في العملية التعليمية، وفي أغلب الأحيان أن التمارين والتطبيقات تجري في وقت قصير، حيث يطلب من المتعلمين إنجاز التمارين كتابيا وبشكل فردي، ثم يصحح بعضها فقط، ثم تترك التمارين الأخرى إلى حصص أخرى، وقد لا تصحح إطلاقا ...

ولكن يجب الاهتمام بالتمارين أو تتعدى الإطار التقييمي، وأن تستمد مفهومها الحقيقي من مبدأ التدريب، سواء من حيث الإعداد التربوي والمنهجي والمعرفي، أو من حيث طرق الإنجاز من قبل المتعلمين، هذا فضلا عن المضامين والأهداف التي يجب على المدرس التفكير فيها قبل وضع التمارين.

والجدير بالذكر هنا أن الطرائق التعليمية الحديثة، صارت تهتم بالتمارين اهتماما بالغا، فلم تصبح التمارين مجرد مرحلة أخيرة في الطالب من بين المراحل التعليمية، بل صارت المحرك الأساسي لكل لمراحل الدرس، حيث يقدم الدرس على شكل تمارين متنوعة تحقق الهدف المطلوب، ويجعل المتعلم يشارك بنفسه في العملية التعليمية التعلمية، وبالتالي "إشباع رغباته"، التعلمية المتنوعة وهذا يؤدي إلى اكتسابه مهارات نحوية وتبليغية وسهولة التنفيذ، وهذا ما يعرف بالتعلم الذاتي (Auto apprentissage)[13].

إن ما توفره التمارين دون غيرها من الأنشطة اللغوية هو الممارسة والمران سواء من ناحية فكرية كأن تعطى مسائل للنظر والتفكير ونحو ذلك، أو تمارين من أجل الممارسة الفعلية لنماذج من البنى والتراكيب، ولهذا فالتمارين لها الفائدة العظيمة وبخاصة إذا تم التخطيط لها على نحو منهجي وعلمي متكامل، بعيد عن كل مظاهر الارتجال، وفي هذا السياق فإن الهدف الأسمى للتعلم اللغوي والمتمثل في اكتساب الملكة التي يعنى بها –كما يذكر الأستاذ الحاج صالح – مهارة التعرف في البنى اللغوية حسبما تقتضيه أحوال الخطاب [14].

إن ما يجب أن تحتله التمارين وتلعبه من دور فعال في تعليم اللغة العربية وتعلمها بوجه عام، وفي تعميق الممارسة العملية والتدريسية كطرائق تدريس جادة تمتاز بالفعالية، وتبعث في طرائق تعليم اللغة العربية روح التجديد والتطوير، وأن تحظى بالممارسات التعليمية اللغوية الحالية، بالطرائق الحديثة في تعليمية اللغات في جانبيها النظري والتطبيقي، وذلك بصياغة أساليب فعالة للتعليم والتعلم مستلهمين ذلك من النتائج والمعطيات المحصل عليها في الدراسات اللسانية والنفسية، والاجتماعية وحتى التقنية، وما إلى ذلك من الميادين التي من شأنها الترفع من المردودية التعليمية اللغوية.

4-1- منهجية الإعداد التربوي للتمرين:

إن منهجية الإعداد التربوي للتمرين تقتضي ألا تقتصر في أنواع التمارين والتدريبات على تلك التمارين التي تعد خصيصا للاختبار والتقييم فقط، لكن يجب الاهتمام بتلك التي تعتبر وسائل تبليغ تعليمي وترسيخ للعادات اللغوية، أو ما يعرف بالناحية التحليلية للغة، أو باكتساب آليات الكلام وعاداته أو مهاراته العملية.كما يجب التنويع في أشكل التمارين دون أن يطغى الجانب التحليلي اللغوي على حساب الجانب المهري الاستعمالي، أو العكس ولهذا أرى أن إعداد التمارين يجب أن تراعي المبادئ الآتية:

1- التحديد المسبق للهدف المرجو تحقيقه بدقة.

2- تحديد نوعية التمرين مشافهة أو تحريرا.

3- التفكير في منهجية أداء التمرين وإنجازه.

4- الاستثمار العملي للمعارف واستعمالها من تذكر وتحليل وتركيب، واستنباط واستنتاج.

وفي الأخير يمكن القول أن التمارين وسيلة لمعرفة التقدم الذي أحرزه المتعلم في مستواه كتطورات فردية في سياق برنامج تعليمي، أو في فترة زمنية تدريسية أو ما يعرف باختبار نمو التحصيل أو تقدم المستوى وتطوره، وهذا بجعل القائمين على المناهج يفكرون في تطوير محتوياتها المقررة تبعا لتطور كفاءات المتعلمين ومعارفهم المهارية.

فبدل أن تكون دورة التعليم ومسيرته مجرد مرحلة انتقال من مرحلة إلى مرحلة فإن التحول إلى مرحلة تأهيل فعال وتكوين ناجح، بحيث يحصل المتعلم في آخرها على الكفاءات والمهارات المرسومة والمراد تحقيقها من خلال العملية التعليمية والتعلمية.

الهوامش:

1. محاضرات اللسانيات العام، حاج صالح عبد الرحمان، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1987/1986، ص 55-56.
2. Dictionnaire de didactique des langues, p 201.
3. المرجع نفسه، ص 202.
4. التعلم وتكنولوجيا التعلم، جابر عبد الحميد، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1982، ص 262.
5. المرجع نفسه، ص 270.
6. المرجع نفسه، ص 71، بتصرف.
7. المرجع نفسه، ص 119، بتصرف.
8. مقاييس التبليغ التعليمي والترسيخ، حاج صالح عبد الرحمان، مجلة اللسانيات، العدد 04، جامعة الجزائر، ص 76، بتصرف.
9. Coste Daniel, grammaire et didactique, paris, 1976, p 550.
10. المرجع نفسه، ص 560.
11. المرجع نفسه، ص 598.
12. فجر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط 11، عام 1975، ص 140-143، بتصرف.
13. الأسس النفسية والتربوية والاجتماعية لبناء مناهج اللغة العربية، رشيد أحمد طعيمة، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، العدد 1، أوت 1982 م، ص 32.
14. أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي، مجلة اللسانيات ، ص 68-72.